«الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

ـ وأما شهادة الواقع بثبوت الكرامات؛ فظاهر، يعلم به المرء في عصره: إما بالمشاهدة، وإما بالأخبار الصادقة.

فمذهب أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء.

* وهناك مذهب مخالف لمذهب أهل السنة، وهو مذهب المعتزلة ومن تبعهم؛ حيث إنهم ينكرون الكرامات، ويقولون: إنك لو أثبت الكرامات؛ لاشتبه الساحر بالولي والولي بالنبي؛ لأن كل واحد منهم يأتي بخارق.

فيقال: لا يمكن الالتباس؛ لأن الكرامة على يد ولي، والولي لا يمكن أن يدعي النبوة، ولو ادعاها؛ لم يكن وليّاً. آية النبي تكون على يد نبي، والشعوذة والسحر على يد عدو بعيد من ولاية الله، وتكون بفعله باستعانته بالشياطين، فينالها بكسبه؛ بخلاف الكرامة؛ فهي من الله تعالى، لا يطلبها الولي بكسبه.

* قال العلماء: كل كرامة لولي؛ فهي آية للنبي الذي اتبعه؛ لأن الكرامة شهادة من الله عز وجل أن طريق هٰذا الولي طريق صحيح.

وعلى هٰذا؛ ما جرى من الكرامات للأولياء من هٰذه الأمة؛ فإنها آيات لرسول الله ﷺ.

* ولهٰذا قال بعض العلماء: ما من آية لنبي من الأنبياء

السابقين؛ إلا ولرسول الله ﷺ مثلها.

ـ فأورد عليهم أن الرسول ﷺ لم يلق في النار فيخرج حيّاً؛ كما حصل ذٰلك لإبراهيم.

فأجيب بأنه جرى ذٰلك لأتباع الرسول عليه الصلاة والسلام؛ كما ذكره المؤرخون عن أبي مسلم الخولاني[1]، وإذا أكرم أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام بجنس هٰذا الأمر الخارق للعادة؛ دلَّ ذٰلك على أن دين النبي ﷺ حق؛ لأنه مؤيد بجنس هٰذه الآية التي حصلت لإبراهيم.

ـ وأورد عليهم أن البحر لم يفلق للنبي ﷺ، وقد فلق لموسى!

فأجيب بأنه حصل لهٰذه الأمة فيما يتعلق في البحر شيء أعظم مما حصل لموسى، وهو المشي على الماء؛ كما في قصة العلاء بن الحضرمي؛[2] حيث مشوا على ظهر الماء، وهٰذا أعظم مما حصل لموسى؛ لأن موسى مشى على أرض يابسة.

ـ وأورد عليهم أن من آيات عيسى إحياء الموتى، ولم يقع

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/٢٠٨) لابن الجوزي، وقال: إن الأسود العنسي المتنبي طرح أبا مسلم الخولاني في النار، فلم تضره، فكان يشبه بالخليل عليه السلام.

(٢) لما رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/٧)؛ عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء ابن الحضرمي، فسرنا حتى أتينا دارين، والبحر بيننا وبينهم، فقال: يا عليم، يا حليم، يا عليّ، يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً فنقتحم البحر، فخضنا ما يبلغ لبودنا الماء.

ذٰلك لرسول الله ﷺ.

فأجيب بأنه وقع لأتباع الرسول عليه الصلاة والسلام؛ كما في قصة الرجل الذي مات حماره في أثناء الطريق، فدعا الله تعالى أن يحييه، فأحياه الله تعالى.

ـ وأورد عليهم إبراء الأكمه والأبرص.

فأجيب بأنه حصل من النبي ﷺ أن قتادة بن النعمان لما جرح في أحد؛ ندرت عينه حتى صارت على خده، فجاء النبي ﷺ، فأخذها بيده، ووضعها في مكانها، فصارت أحسن عينيه[1].

فهٰذه من أعظم الآيات.

فالآيات التي كانت للأنبياء السابقين كان من جنسها للنبي ﷺ أو لأمته، ومن أراد المزيد من ذٰلك؛ فليرجع إلى كتاب «البداية والنهاية في التاريخ» لابن كثير.

**تنبيه:**

الكرامات؛ قلنا: إنها تكون تأييداً أو تثبيتاً أو إعانة للشخص أو نصراً للحق، ولهٰذا كانت الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة؛ لأن الصحابة عندهم من التثبيت والتأييد والنصر ما

---

(١) وقد أخرجها الحافظ بن حجر في «الإصابة» (٣/٢١٧)؛ عن البغوي وأبو يعلى والدارقطني والبيهقي في «دلائل النبوة»، وعزاها الهيثمي في «المجمع» (٨/٢٩٨) للطبراني وأبي يعلى، وقال: في إسناد الطبراني من لم أعرفهم، وفي إسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحماني؛ وهو ضعيف.

يستغنون به عن الكرامات؛ فإن الرسول ﷺ كان بين أظهرهم، وأما التابعون؛ فإنهم دون ذٰلك، ولذٰلك كثرت الكرامات في زمنهم تأييداً لهم وتثبيتاً ونصراً للحق الذي هم عليه.

* * *

* قوله: «**وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات**»: «**خوارق**»: جمع خارق.

* و«**العادات**»: جمع عادة.

والمراد بـ«**خوارق العادات**»: ما يأتي على خلاف العادة الكونية.

* وهٰذه الكرامات لها أربع دلالات:

**أولاً**: بيان كمال قدرة الله عز وجل؛ حيث حصل هٰذا الخارق للعادة بأمر الله.

**ثانياً**: تكذيب القائلين بأن الطبيعة هي التي تفعل؛ لأنه لو كانت الطبيعة هي التي تفعل؛ لكانت الطبيعة على نسق واحد لا يتغير؛ فإذا تغيرت العادات والطبيعة؛ دل على أن للكون مدبراً وخالقاً.

**ثالثاً**: أنها آية للنبي المتبوع كما أسلفنا قريباً.

**رابعاً**: أن فيها تثبيتاً وكرامة لهٰذا الولي.

* * *

* قوله: «**في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات**»؛ يعني: أن الكرامة تنقسم إلى قسمين: قسم يتعلق بالعلوم والمكاشفات، وقسم آخر يتعلق بالقدرة والتأثيرات.

ـ أما العلوم؛ فأن يحصل للإنسان من العلوم ما لا يحصل لغيره.

ـ وأما المكاشفات؛ فأن يظهر له من الأشياء التي يكشف له عنها ما لا يحصل لغيره.

ـ مثال الأول ـ العلوم ـ: ما ذكر عن أبي بكر: أن الله أطلعه على ما في بطن زوجته ـ الحمل ـ ؛أعلمه الله أنه أنثى[1].

ـ ومثال الثاني ـ المكاشفات ـ: ما حصل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كان يخطب الناس يوم الجمعة على المنبر، فسمعوه يقول: يا سارية! الجبل! فتعجبوا من هٰذا الكلام، ثم سألوه عن ذٰلك؟ فقال: إنه كشف له عن سارية بن زنيم ـ وهو أحد قواده في العراق ـ، وأنه محصور من عدوه، فوجهه إلى الجبل، وقال له: يا سارية! الجبل! فسمع سارية صوت عمر، وانحاز إلى الجبل، وتحصن به[2]!

---

(١) رواه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (٦٣)، وأوردها ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٢٦١).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة»، وذكره ابن كثير في «البداية» (٧/ ١٣١) وقال: إسناده حسن جيد. وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١١١٠).

هٰذه من أمور المكاشفات؛ لأنه أمر واقع، لٰكنه بعيد.

ـ أما القدرة والتأثيرات؛ فمثل ما وقع لمريم من هزها لجذع النخل وتساقط الرطب عليها. ومثل ما وقع للذي عنده علم من الكتاب؛ حيث قال لسليمان: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك.

* * *

* قوله: «**والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هٰذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة**».

الكرامات موجودة فيما سبق من الأمم، ومنها قصة أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة[1]، وموجودة في عهد الرسول ﷺ؛ كقصة أسيد بن حضير[2]، وتكثير الطعام عند بعض الصحابة[3]، وموجودة في التابعين؛ مثل قصة صلة بن أشيم الذي أحيا الله له فرسه[4].

يقول شيخ الإسلام في كتاب «الفرقان»: «وهٰذا باب واسع،

---

(١) قصة أصحاب الغار؛ رواها البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣)؛ عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) قصة أُسيد بن حضير؛ رواها البخاري (٥٠١٨)، ومسلم (٧٩٦)؛ من حديث أبي سعيد الخدري عن أُسيد بن حضير رضي الله عنه.

(٣) رواها البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧)؛ من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

(٤) انظر: (٢/٢٩٨).

قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هٰذا الموضع، وأما ما نعرفه نحن عياناً ونعرفه في هٰذا الزمان؛ فكثير».

* * *

* قوله: «**وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة**».

* والدليل على أنها موجودة إلى يوم القيامة: سمعي وعقلي:

ـ أما السمعي؛ فإن الرسول ﷺ أخبر في قصة الدجال أنه يدعو رجلاً من الناس من الشباب؛ يأتي، ويقول له: كذبت! إنما أنت المسيح الدجال الذي أخبرنا عنك رسول الله ﷺ، فيأتي الدجال، فيقتله قطعتين، فيجعل واحدة هنا وواحدة هنا رمية الغرض (يعني: بعيد ما بينهما)، ويمشي بينهما، ثم يدعوه، فيقوم يتهلل، ثم يدعوه ليقر له بالعبودية، فيقول الرجل: ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم! فيريد الدجال أن يقتله؛ فلا يسلط عليه[1].

فهٰذه (أي: عدم تمكن الدجال من قتل ذٰلك الشاب) من الكرامات بلا شك.

ـ وأما العقلي؛ فيقال: ما دام سبب الكرامة هي الولاية؛ فالولاية لا تزال موجودة إلى قيام الساعة.

* * *

---

(١) رواه: البخاري (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

## فصل
## في طريقة أهل السنة العملية

* قوله: «**ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً**».

لما فرغ المؤلف مما يريد ذكره من طريقة أهل السنة العقدية؛ شرع في ذكر طريقتهم العملية:

* قوله: «**اتباع الآثار**»: لا اتباع إلا بعلم؛ إذاً؛ فهم حريصون على طلب العلم؛ ليعرفوا آثار الرسول عليه الصلاة والسلام ثم يتبعوها.

* فهم يتبعون آثار الرسول ﷺ في العقيدة والعبادة والأخلاق والدعوة إلى الله تعالى؛ يدعون عباد الله إلى شريعة الله في كل مناسبة، وكلما اقتضت الحكمة أن يدعوا إلى الله؛ دَعَوا إلى الله، ولٰكنهم لا يخبطون خبط عشواء، وإنما يدعون بالحكمة؛ يتبعون آثار الرسول عليه الصلاة والسلام في الأخلاق الحميدة في معاملة

الناس باللطف واللين، وتنزيل كل إنسان منزلته؛ يتبعونه أيضاً في أخلاقه مع أهله، فتجدهم يحرصون على أن يكونوا أحسن الناس لأهليهم؛ لأن النبي ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[1].

ونحن لا نستطيع أن نحصر آثار الرسول عليه الصلاة والسلام، ولٰكن نقول على سبيل الإجمال في العقيدة والعبادة والخلق والدعوة: في العبادة لا يتشددون ولا يتهاونون ويتبعون ما هو أفضل.

وربما يشتغلون عن العبادة بمعاملة الخلق للمصلحة؛ كما كان الرسول يأتيه الوفود يشغلونه عن الصلاة؛ فيقضيها فيما بعد.

* قوله: «**ظاهراً وباطناً**»: الظهور والبطون أمر نسبي: ظاهراً فيما يظهر للناس، وباطناً فيما يسرونه بأنفسهم. ظاهراً في الأعمال الظاهرة، وباطناً في أعمال القلوب...

فمثلاً؛ التوكل والخوف والرجاء والإنابة والمحبة وما أشبه ذٰلك؛ هٰذه من أعمال القلوب؛ يقومون بها على الوجه المطلوب، والصلاة فيها القيام والقعود والركوع والسجود والصدقة والحج والصيام، وهٰذه من أعمال الجوارح؛ فهي ظاهرة.

---

(١) رواه: الترمذي (٣٨٩٥)، والدارمي (٢١٧٧)، وابن ماجه (١٩٧٧)، وابن حبان (٤١٧٧)؛ عن عائشة رضي الله عنها.
والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥).

* ثم اعلم أن آثار الرسول ﷺ تنقسم إلى ثلاثة أقسام أو أكثر:

**أولاً**: ما فعله على سبيل التعبد؛ فهٰذا لا شك أننا مأمورون باتباعه؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ فكل شيء لا يظهر فيه أنه فعله تأثراً بعادة أو بمقتضى جبلة وفطرة أو حصل اتفاقاً؛ فإنه على سبيل التعبد، ونحن مأمورون به.

**ثانياً**: ما فعله اتفاقاً؛ فهٰذا لا يشرع لنا التأسي فيه؛ لأنه غير مقصود؛ كما لو قال قائل: ينبغي أن يكون قدومنا إلى مكة في الحج في اليوم الرابع من ذي الحجة! لأن الرسول ﷺ قدم مكة في اليوم الرابع من ذي الحجة[1]. فنقول: هٰذا غير مشروع؛ لأن قدومه ﷺ في هٰذا اليوم وقع اتفاقاً.

ولو قال قائل: ينبغي إذا دفعنا من عرفة ووصلنا إلى الشعب الذي نزل فيه ﷺ وبال أن ننزل ونبول ونتوضأ وضوءًا خفيفاً كما فعل النبي ﷺ! فنقول: هٰذا لا يشرع.

وكذٰلك غيرها من الأمور التي وقعت اتفاقاً؛ فإنه لا يشرع التأسي فيه بذٰلك؛ لأنه ﷺ فعله لا على سبيل القصد للتعبد،

---

(١) كما رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٦٦)؛ من حديث جابر قال: «وقدمنا الكعبة في أربع مضين من ذي الحجة أياماً أو ليالي...»، وهو عند الطبراني في «الكبير» (٧/ ١٢٣)، وهو حديثٌ صحيح، وأصلُه في «صحيح مُسلم».

والتأسي به تعبد.

**ثالثاً**: ما فعله بمقتضى العادة؛ فهل يشرع لنا التأسي به؟

الجواب: نعم؛ ينبغي لنا أن نتأسى به، لٰكن بجنسه لا بنوعه.

وهٰذه المسألة قل من يتفطن لها من الناس؛ يظنون أن التأسي به فيما هو على سبيل العادة بالنوع، ثم ينفون التأسي به في ذٰلك.

ونحن نقول: نتأسى به، لٰكن باعتبار الجنس؛ بمعنى أن نفعل ما تقتضيه العادة التي كان عليها الناس؛ إلا أن يمنع من ذٰلك مانع شرعي.

**رابعاً**: ما فعله بمقتضى الجبلة؛ فهٰذا ليس من العبادات قطعاً، لٰكن قد يكون عبادة من وجه؛ بأن يكون فعله على صفة معينة عبادة: كالنوم؛ فإنه بمقتضى الجبلة، لٰكن يسن أن يكون على اليمين، والأكل والشرب جبلة وطبيعة، ولٰكن قد يكون عبادة من جهة أخرى ،إذا قصد به الإنسان امتثال أمر الله والتنعم بنعمه والقوة على عبادته وحفظ البدن، ثم إن صفته أيضاً تكون عبادة كالأكل باليمين، والبسملة عند البداءة، والحَمْدلة عند الانتهاء.

وهنا نسأل: هل اتخاذ الشعر عادة أو عبادة؟

يرى بعض العلماء أنه عبادة، وأنه يسن للإنسان اتخاذ الشعر.

ويرى آخرون أن هٰذا من الأمور العادية؛ بدليل قول الرسول

ﷺ للذي رآه قد حلق بعض رأسه وترك بعضه؛ فنهاهم عن ذٰلك، وقال: «احلقوا كله أو ذروا كله»[1]، وهٰذا يدل على أن اتخاذ الشعر ليس بعبادة، وإلا؛ لقال: أبقه، ولا تحلق منه شيئاً!

وهٰذه المسألة ينبغي التثبت فيها، ولا يحكم على شيء بأنه عبادة؛ إلا بدليل؛ لأن الأصل في العبادات المنع؛ إلا ما قام الدليل على مشروعيته.

* * *

* قوله: «**واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار**»؛ أي: ومن طريقة أهل السنة اتباع... إلخ؛ فهي معطوفة على «اتباع الآثار».

* قوله: «**السابقين**»؛ يعني: إلى الأعمال الصالحة.

* وقوله: «**الأولين**»؛ يعني: من هٰذه الأمة.

* **والمهاجرون**: من هاجروا إلى المدينة.

* **والأنصار**: أهل المدينة في عهد النبي ﷺ.

---

(١) رواه مسلم (٢١٢٠)؛ عن ابن عمر من طريق معمر عن أيوب عن نافع، ولم يسق لفظه. وهو عند عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٥٦٤)، وأبو داود (٤١٩٥)، والنسائي (٨/ ١٣٠)، وأحمد (٢/ ٨٨)؛ بلفظ: «احلقوا كله أو ذروا كله».
قال الحميدي: وحكى أبو مسعود الدمشقي أن في رواية مسلم أن النبي ﷺ رأى غلاماً قد حلق بعض رأسه وترك بعض، فنهاهم عن ذلك وقال: «احلقوا كله أو ذروا كله»، انظر: «جامع الأصول» (٤/ ٧٥٣).

* وإنما كان اتباع سبيلهم من منهج أهل السنة والجماعة؛ لأنهم أقرب إلى الصواب والحق ممن بعدهم، وكلما بعد الناس عن عهد النبوة؛ بعدوا من الحق، وكلما قرب الناس من عهد النبوة؛ قربوا من الحق، وكلما كان الإنسان أحرص على معرفة سيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين؛ كان أقرب إلى الحق.

ولهٰذا ترى اختلاف الأمة بعد زمن الصحابة والتابعين أكثر انتشاراً وأشمل لجميع الأمور، لٰكن الخلاف في عهدهم كان محصوراً.

فمن طريقة أهل السنة والجماعة أن ينظروا في سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فيتبعوها؛ لأن اتباعها يؤدي إلى محبتهم، مع كونهم أقرب إلى الصواب والحق؛ خلافاً لمن زهد في هٰذه الطريقة، وصار يقول: هم رجال ونحن رجال! ولا يبالي بخلافهم!! وكأن قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي قول فلان وفلان من أواخر هٰذه الأمة!! وهٰذا خطأ وضلال؛ فالصحابة أقرب إلى الصواب، وقولهم مقدم على قول غيرهم من أجل ما عندهم من الإيمان والعلم، وما عندهم من الفهم السليم والتقوى والأمانة، وما لهم من صحبة الرسول ﷺ.

* * *

* قوله: «**واتباع وصية رسول الله ﷺ**»: حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل

بدعة ضلالة»[1].

* «**اتباع**»: معطوفة على «اتباع الآثار».

* والوصية: العهد إلى غيره بأمر هام.

* ومعنى: «**عليكم بسنتي...**» إلخ: الحث على التمسك بها، وأكد هٰذا بقوله: «**وعضوا عليها بالنواجذ**»، وهي أقصى الأضراس؛ فأمر بالتمسك بها باليد والعض عليها بالأضراس مبالغة في التمسك بها.

* والسنة: هي الطريقة ظاهراً وباطناً.

* والخلفاء الراشدون: هم الذين خلفوا النبي ﷺ في أمته علماً وعملاً ودعوة.

* وأول من يدخل في هٰذا الوصف وأولى من يدخل فيه: الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

* ثم يأتي رجل في هٰذا العصر، ليس عنده من العلم شيء، ويقول: أذان الجمعة الأول بدعة؛ لأنه ليس معروفاً على عهد الرسول ﷺ، ويجب أن نقتصر على الأذان الثاني فقط!

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣ ـ ٤٤)، والحاكم (١/ ٩٥ ـ ٩٦)، وابن حبان (١/ ١٨٧)؛ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح ليس له علة، ووافقه الذهبي.
وقد نقل الألباني في «إرواء الغليل» (٨/ ١٠٧) تصحيح جماعةٍ من أهل العلم له.

فنقول له: إن سنة عثمان رضي الله عنه سنة متبعة إذا لم تخالف سنة رسول الله ﷺ، ولم يقم أحد من الصحابة الذين هم أعلم منك وأغير على دين الله بمعارضته، وهو من الخلفاء الراشدين المهديين، الذين أمر رسول الله ﷺ باتباعهم.

ثم إن عثمان رضي الله عنه اعتمد على أصل، وهو أن بلالاً يؤذن قبل الفجر في عهد النبي ﷺ، لا لصلاة الفجر، ولٰكن ليرجع القائم ويوقظ النائم؛ كما قال ذٰلك رسول الله ﷺ، فأمر عثمان بالأذان الأول يوم الجمعة[1]، لا لحضور الإمام، ولٰكن لحضور الناس؛ لأن المدينة كبرت واتسعت واحتاج الناس أن يعلموا بقرب الجمعة قبل حضور الإمام؛ من أجل أن يكون حضورهم قبل حضور الإمام.

* فأهل السنة والجماعة يتبعون ما أوصى به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الحث على التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؛ إلا إذا خالف كلام رسول الله ﷺ مخالفة صريحة؛ فالواجب علينا أن نأخذ بكلام رسول الله ﷺ ونعتذر عن هٰذا الصحابي، ونقول: هٰذا من باب الاجتهاد المعذور فيه.

* قول النبي ﷺ: «**وإياكم ومحدثات الأمور**»: «**إياكم**»: هٰذه

---

(١) لما رواه السائب بن يزيد: «إن الذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة؛ عثمان بن عفان رضي الله عنه».
أخرجه البخاري (٩١٢، ٩١٣).

للتحذير؛ أي: أحذركم.

* و«**الأمور**»: بمعنى: الشؤون، والمراد بها أمور الدين، أما أمور الدنيا؛ فلا تدخل في هٰذا الحديث؛ لأن الأصل في أمور الدنيا الحل؛ فما ابتدع منها؛ فهو حلال؛ إلا أن يدل الدليل على تحريمه. لٰكن أمور الدين الأصل فيها الحظر؛ فما ابتدع منها؛ فهو حرام بدعة؛ إلا بدليل من الكتاب والسنة على مشروعيته.

* قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**فإن كل بدعة ضلالة**»: الجملة مفرعة على الجملة التحذيرية، فيكون المراد بها هنا توكيد التحذير وبيان حكم البدعة.

* «**كل بدعة ضلالة**»: هٰذا كلام عام مسور بأقوى لفظ دال على العموم، وهو لفظ (كل)؛ فهو تعميم محكم صدر من الرسول ﷺ، والرسول عليه الصلاة والسلام أعلم الخلق بشريعة الله، وأنصح الخلق لعباد الله، وأفصح الخلق بياناً، وأصدقهم خبراً؛ فاجتمعت في حقه أربعة أمور: علم ونصح وفصاحة وصدق، نطق بقوله: «كل بدعة ضلالة».

فعلى هٰذا: كل من تعبد لله بعقيدة أو قول أو فعل لم يكن شريعة الله؛ فهو مبتدع.

ـ فالجهمية يتعبدون بعقيدتهم، ويعتقدون أنهم منزهون لله. والمعتزلة كذٰلك. والأشاعرة يتعبدون بما هم عليه من عقيدة باطلة.

ـ والذين أحدثوا أذكاراً معينة يتعبدون لله بذٰلك، ويعتقدون أنهم مأجورون على هٰذا.

ـ والذين أحدثوا أفعالاً يتعبدون لله بها ويعتقدون أنهم مأجورون على هٰذا.

كل هٰذه الأصناف الثلاثة الذين ابتدعوا في العقيدة أو في الأقوال أو في الأفعال؛ كل بدعة من بدعهم؛ فهي ضلالة، ووصفها الرسول عليه الصلاة والسلام بالضلالة؛ لأنها مركب، ولأنها انحراف عن الحق.

* والبدعة تستلزم محاذير فاسدة:

**فأولاً**: تستلزم تكذيب قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]؛ لأنه إذا جاء ببدعة جديدة يعتبرها ديناً؛ فمقتضاه أن الدين لم يكمل.

**ثانياً**: تستلزم القدح في الشريعة، وأنها ناقصة، فأكملها هٰذا المبتدع.

**ثالثاً**: تستلزم القدح في المسلمين الذين لم يأتوا بها؛ فكل من سبق هٰذه البدع من الناس دينهم ناقص! وهٰذا خطير!!

**رابعاً**: من لوازم هٰذه البدعة أن الغالب أن من اشتغل ببدعة؛ انشغل عن سنة؛ كما قال بعض السلف: «ما أحدث قوم بدعة؛ إلا هدموا مثلها من السنة».

**خامساً**: أن هٰذه البدع توجب تفرق الأمة؛ لأن هٰؤلاء

المبتدعة يعتقدون أنهم هم أصحاب الحق، ومن سواهم على ضلال!! وأهل الحق يقولون: أنتم الذين على ضلال! فتتفرق قلوبهم.

فهٰذه مفاسد عظيمة، كلها تترتب على البدعة من حيث هي بدعة، مع أنه يتصل بهٰذه البدعة سفه في العقل وخلل في الدين.

* وبهٰذا نعرف أن من قسم البدعة إلى أقسام ثلاثة أو خمسة أو ستة؛ فقد أخطأ، وخطؤه من أحد وجهين:

ـ إما أن لا ينطبق شرعاً وصف البدعة على ما سماه بدعة.

ـ وإما أن لا يكون حسناً كما زعم.

فالنبي ﷺ قال: «كل بدعة ضلالة»؛ فقال: «كل»؛ فما الذي يخرجنا من هٰذا السور العظيم حتى نقسم البدع إلى أقسام؟

* فإن قلت: ما تقول في قول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حين خرج إلى الناس وهم يصلون بإمامهم في رمضان، فقال: نعمت البدعة هٰذه. فأثنى عليها، وسماها بدعة[1]؟!

فالجواب أن نقول: ننظر إلى هٰذه البدعة التي ذكرها؛ هل ينطبق عليها وصف البدعة الشرعية أو لا.

فإذا نظرنا ذٰلك؛ وجدنا أنه لا ينطبق عليها وصف البدعة الشرعية؛ فقد ثبت أن النبي ﷺ صلى بأصحابه في رمضان ثلاث

---

(١) رواه البخاري (٢٠١٠).

ليال، ثم تركه خوفاً من أن تفرض عليهم، فثبت أصل المشروعية، وانتفى أن تكون بدعة شرعية، ولا يمكن أن نقول: إنها بدعة، والرسول ﷺ قد صلاها!!

وإنما سماها عمر رضي الله عنه بدعة؛ لأن الناس تركوها، وصاروا لا يصلون جماعة بإمام واحد، بل أوزاعاً؛ الرجل وحده والرجلان والثلاثة والرهط، فلما جمعهم على إمام واحد؛ صار اجتماعهم بدعة بالنسبة لما كانوا عليه أولاً من هٰذا التفرق.

فإنه خرج رضي الله عنه ذات ليلة، فقال: لو أني جمعت الناس على إمام واحد؛ لكان أحسن، فأمر أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، فقاما للناس بإحدى عشرة ركعة، فخرج ذات ليلة والناس يصلون بإمامهم، فقال: نعمت البدعة هٰذه.

إذاً؛ هي بدعة نسبية؛ باعتبار أنها تركت ثم أنشئت مرة أخرى.

فهٰذا وجه تسميتها ببدعة.

وأما أنها بدعة شرعية، ويثني عليها عمر؛ فكلاَّ.

وبهٰذا نعرف أن كلام رسول الله ﷺ لا يعارضه كلام عمر رضي الله عنه.

* فإن قلت: كيف تجمع بين هٰذا وبين قول الرسول ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها إلى

يوم القيامة»؛ فأثبت أن الإنسان يسن سنة حسنة في الإسلام؟

فنقول: كلام الرسول ﷺ يصدق بعضه بعضاً، ولا يتناقض؛ فيريد بالسنة الحسنة السنة المشروعة، ويكون المراد بسنها المبادرة إلى فعلها.

يعرف هٰذا ببيان سبب الحديث، وهو أن النبي ﷺ قاله حين جاء أحد الأنصار بصرة (يعني: من الدراهم)، ووضعها بين يدي النبي ﷺ حين دعا أصحابه أن يتبرعوا للرهط الذين قدموا من مضر مجتابي النمار، وهم من كبار العرب، فتمعر وجه النبي ﷺ لما رأى من حالهم، فدعا إلى التبرع لهم، فجاء هٰذا الرجل أول ما جاء بهٰذه الصرة، فقال: «من سن في الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»[1].

أو يقال: المراد بالسنة الحسنة ما أحدث ليكون وسيلة إلى ما ثبتت مشروعيته؛ كتصنيف الكتب وبناء المدارس ونحو ذٰلك.

وبهٰذا نعرف أن كلام الرسول ﷺ لا يناقض بعضه بعضاً، بل هو متفق؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى.

* * *

* قوله: «**ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله**»:

* هٰذا علمنا واعتقادنا، وأن ليس في كلام الله من كذب،

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

بل هو أصدق الكلام؛ فإذا أخبر الله عن شيء بأنه كائن؛ فهو كائن، وإذا أخبر عن شيء بأنه سيكون؛ فإنه سيكون، وإذا أخبر عن شيء بأن صفته كذا وكذا؛ فإن صفته كذا وكذا.

* فلا يمكن أن يتغير الأمر عما أخبر الله به، ومن ظن التغير؛ فإنما ظنه خطأ؛ لقصوره أو تقصيره.

مثال ذٰلك لو قال قائل: إن الله عز وجل أخبر أن الأرض قد سطحت، فقال: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠]، ونحن نشاهد أن الأرض مكورة؛ فكيف يكون خبره خلاف الواقع؟

فجوابه أن الآية لا تخالف الواقع، ولٰكن فهمه خاطىء إما لقصوره أو تقصيره؛ فالأرض مكورة مسطحة، وذٰلك لأنها مستديرة، ولٰكن لكبر حجمها لا تظهر استدارتها إلا في مساحة واسعة تكون بها مسطحة، وحينئذ يكون الخطأ في فهمه؛ حيث ظن أن كونها قد سطحت مخالف لكونها كروية.

فإذا كنا نؤمن أن أصدق الكلام كلام الله؛ فلازم ذٰلك أنه يجب علينا أن نصدق بكل ما أخبر الله به في كتابه، سواء كان ذٰلك عن نفسه أو عن مخلوقاته.

* قوله: «**وخير الهدي هدي محمد ﷺ**»:

* «**الهدي**»: هو الطريق التي كان عليها السالك.

والطرق شتى، لٰكن خيرها طريق النبي ﷺ؛ فنحن نعلم ذٰلك ونؤمن به، نعلم أن خير الهدي هدي محمد ﷺ في العقائد